فهو كما قال الطحاوى لم يخف عليه شئ قبل ان يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل ان يخلقهم بل كما قال
بعض المحققين من انه سبحانه يعلم ما كان من مبدا المخلوقات وما يكون من اواخر الموجودات
لقوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم وما لم يكن ان لو كان كيف كان كما قال الله تعالى ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وكما قال ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه وان كان يعلم انهم لا يردون ولكن اخبر انهم لو ردوا لعادوا وفى ذلك رد
على الرافضة والقدرية الذين قالوا انه لا يعلم الشئ قبل ان يخلقه ويوجده **والكلام**
اى من الصفات الذاتية فانه سبحانه متكلم بكلامه الذى هو صفته الازلية المعبر عنها
بالنظم المسمى بالقران المركب من الحروف وذلك لان كل من يامر وينهى ويخبر يجد من نفسه
معنى ثم يدل عليه بالعبارة او الكتابة او الاشارة وهو غير العلم اذ قد يخبر الانسان
عما لا يعلمه بل يعلم خلافه وغير الارادة لانه قد يامر بما لا يريده كمن امر عبده قصدا
الى اظهار عصيانه وعدم امتثاله لاوامره ويسمى هذا الكلام نفسيا كما اخبر الله
عن هذا المرام بقوله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وفى شعر الاخطل
ان الكلام لفى الفؤاد وانما ۞ جعل اللسان على الفؤاد دليلا ۞
وقال عمر رضى الله عنه انى زورت فى نفسى مقالة والدليل على ثبوت الكلام اجماع الامة
من الايمة الاعلام وتواتر النقل عن الانبياء عليهم السلام بان اوحى اليهم بيان الاحكام
الا ان كلامه ليس من جنس الحروف والاصوات والله تعالى متكلم آمر ناه ومخبر بمعنى
ان كلامه صفة واحدة وتكثره الى الامر والنهى والخبر باختلاف التعلقات كالقدرة والعلم
وسائر الصفات فانها واحدة والتكثر والحدوث انما هو فى الاضافات ويكفى وجود
المامور فى علم الامر **والحاصل** ان هذا الكلام اللفظى الحادث المؤلف
من الاصوات والحروف القائمة بمحالها يسمى كلام الله والقران على معنى انه عبارة عن
ذلك المعنى القديم كما وقع التصريح به فى التلويح وقال القونوى فى شرح العمدة اهل
السنة لا يرون تعلق وجود الاشياء بقوله تعالى كن بل وجودها متعلق بايجاده وتكوينه
وهو صفته الازلية وهذا الكلام عبارة عن سرعة حصول المخلوق بايجاده وكمال
قدرته على ذلك وعند الاشعرى ومن تابعه وجود الاشياء متعلق بكلامه الازلى
وهذه الكلمة دالة عليه كذا فى شرح التاويلات وفى تفسير التيسير قوله اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون انه تعالى لم يرد به انه خاطبه بكلمة كن فيكون بهذا
الخطاب لانه لو جعل خطابا حقيقة فاما ان يكون خطابا بالمعدوم وبه يوجد
او خطابا للموجود بعدما وجد لا جائز ان يكون خطابا للمعدوم لانه لا شئ فكيف
يخاطب ولا جائز ان يكون خطابا للموجود لانه قد كان فكيف يقال له كن وهو كائن
وانما هو بيان انه اذا شاء تكوينه كونه فكان فان قيل فاذا حصل الوجود بالايجاد
فما فائدة هذا الامر قلت اظهار العظمة والقدرة كما انه تعالى يبعث من فى القبور
ببعثه ولكن بواسطة نفخ الصور لاظهار العظمة او يقال دلت الدلايل العقلية على ان
الوجود بالايجاد ووردت النصوص القاطعة النقلية على انه بهذا الامر فوجب القول
بموجبها من غير اشتغال بطلب الفائدة كما ان فى الايات المتشابهة وجب الايمان بها
من غير اشتغال بتاويلها واشار فخر الاسلام البزدوى فى اصوله الى ان المراد بقوله تعالى

كن

كن حقيقة التكلم بهذه الكلمة لا المجاز عن الايجاد والتكوين موافقا لمذهب الاشعرى مخالفا
لعامة اهل السنة لان التمسك بالاية فى اثبات المطلوب على هذا القول اظهر لانها دالة
على ان المراد حقيقة التكلم لان الامر فيها مكرر بخلاف ساير الايات فقال وهذا عندنا واراد به
نفسه **واجيب** بان مذهبه غير مذهب الاشعرى فان عنده وجود الاشيا
بخطاب كن لا غير كما ان عند اهل السنة بالايجاد لا غير وعند البزدوى وجود الاشيا بالايجاد
والخطاب فكان مذهبا ثالثا والله اعلم بالصواب والمعنى اذا كلم احدا من خلقه
فانما يكلمه بكلامه القديم الذى قد كتب بالحروف والكلمات الدالة عليه فى اللوح المحفوظ
بامره لا بكلام حادث فاتما الحادث الدال على كلامه وهى الحروف والكلمات لا حقيقة كلامه
القايم بالذات فان كلام الحق لا يشبه كلام الخلق كساير الصفات وقد قال تعالى **وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا** اى بان يوحى اليه فى الرؤيا كالانبيا او بالالهام ۞
كالاوليا ومنه الخبر ان الله لينطق على لسان عمر **او من وراء حجاب** بان يسمع كلامه
ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام **او يرسل رسولا** اى ملكا كجبريل **فيوحى** اى الرسول
الى المرسل اليه بمعنى انه يكلمه ويبلغه **باذنه** اى بامر ربه **ما يشاء** اى الله من اعلامه
فكلامه قايم بذاته خلافا للمعتزلة حيث ذهبوا الى انه متكلم بكلام هو قايم بغيره وليس
صفة له حيث قالوا كلامه حروف واصوات يخلقها فى غيره كاللوح وجبريل والرسول
ومبتدعة الحنابلة قالوا كلامه حروف واصوات تقوم بذاته وهو قديم وبالغ بعضهم
جهلا حتى قال الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف وهذا قول باطل بالضرورة
ومكابرة للحس لاحساس تقديم السين قبل الها فى بسم الله ونحوه **والسمع والبصر**
اى انهما من الصفات الذاتية فانه تعالى سميع بالاصوات والحروف والكلمات بسمعه
القديم الذى هو له صفة فى الازل وبصير بالاشكال والالوان بابصاره القديم
الذى هو له صفة فى الازل فلا يحدث له سمع بحدوث مسموع ولا بصر بحدوث
مبصر فهو السميع البصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى غاية السر
ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق فى النظر بل يرى دبيب النملة السودا فى الليلة
الظلما على الصخرة الصما فالسمع صفة تتعلق بالمسموعات والبصر صفة تتعلق بالمبصرات
فيدرك ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تاثر حاسة ووصول
هوا ولا يلزم من قدمها قدم المسموعات والمبصرات كما لا يلزم من قدم العلم والقدرة
قدم المعلومات والمقدورات لانها صفات قديمة تحدث لها تعلقات
بالحوادث عند وجودها تعلقا ظاهريا كما كان لها تعلق فى عالم شهودها تعلقا
غيبيا فهما اخص من صفة العلم **واما** قول السيوطى فى النقاية من انهما صفتان يزيد
الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم فانما يصح بالنسبة الينا حيث يزيد العلم بهما لدينا
واما بالنسبة اليه سبحانه فصفاته كلها كاملات كما انه كامل فى الذات فلا تقبل
الزيادات **والارادة** اى من الصفات الذاتية وهى كالمشيئة صفة تخصص احد طرفى
الشئ من الفعل والترك بالوقوع فى احد الاوقات مع استواء نسبة القدرة الى جميع الممكنات
وفيما ذكر تنبيه للرد على من زعم ان المشيئة قديمة والارادة حادثة قائمة بذات الله سبحانه
وعلى من زعم ان معنى ارادة الله فعله انه ليس بمكره ولا ساه ولا مغلوب ومعنى ارادته

Copyright King Saud University